متابعة

في محاولة لمواجهة ما تفرضه المؤسسة الألمانية الرسمية على الأصوات المناهضة للإبادة الصهيونية، شكّلت موخّراً مجموعة من طلاب «جامعة غوته» بفرانكفورت حملة بعنوان «مكتبة فلسطين»، تأخذ على عاتقها التعريف بكل ما هو فلسطيني من أدب وتاريخ ودراسات مختلفة

«مكتبة فلسطين» مجموعة طلابية تُعرّف بقضية البلاد

بدائل ثقافية في مواجهة المنع الألماني

فرانكفورت ـ **يزن التميمي**

ليس الاحتلال وحده من يوقع منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 عقاباً جماعياً على كل ما هو فلسطيني، بل يفعل ذلك كلّ حلفائه حول العالم، وعلى رأسهم ألمانيا، التي دشّرت خلال أشهر قليلة السمعة التي كانت تحاول اكتسابها من خلال تجمّعات ثقافية وفنّية تحظى بشهرة عالمية، كـ«بينالي برلين» و«معرض فرانكفورت الدولي للكتاب»، هذا الأخير الذي أعلن دون مبرّر في نسخة العام الماضي «تأجيله» تكريم الروائية الفلسطينية عدنية شبلي، حتى «لا يجرح مشاعر» الصهاينة من الحضور الذين يُفزعهم كلّ ما هو فلسطيني مهما كان السياق أو المناسبة. هذا التأجيل لا يزال قائماً حتى بعد مرور عام كامل، وبدء فعاليات نسخة جديدة من المعرض، الأمر الذي يُفسّره ناشطون بأنه «إلغاء غير معلن» وتحايُل هؤلاء الناشطون الذين فطنوا مبكّراً لضرورة إنشاء فضاءات جديدة تكون بديلاً عن تلك الرسمية التي تفرض أجنداتها عليهم، وتحاسبهم بناءً على شعورها تجاههم. وضمن هذا السياق، بادرت مجموعة من طلاب «جامعة غوته» بفرانكفورت، الصيف الماضي، إلى إطلاق حملة «مكتبة فلسطين» لتجميع أكبر قدر ممكن من إصدارات متعلّقة بفلسطين من دراسات تاريخية وأبحاث ثقافية وروايات ودواوين شعر وحتى أدب الطفل، وقد تواصلوا مع عدد من الكتّاب والناشرين الذين بادروا إلى التبرّع بما أمكن من كتب، ليجمعوا في فترة قصيرة ما يقرب من مئتين وخمسين كتاباً. وبينما تبحث «مكتبة فلسطين» عن مكان تُتاح فيه الكتب ويُفتح للزوّار، فقد شاركت المجموعة بالكتب المتاحة حتى الآن في ثلاث فعاليات، الأولى رافقت انطلاق المكتبة، وكانت ضمن «المهرجان الثقافي» الذي عُقد وسط المدينة للتعريف بالثقافة الفلسطينية، وقد عُرضت مجموعة من الكتب مع إتاحة أماكن للقراءة والنقاش. أما المرّة الثانية فقد كانت الفعالية التي أطلقها القائمون على المكتبة مع مجموعات أخرى، وكانت عبارة عن «معرض بديل» لـ«معرض فرانكفورت للكتاب»، إذ نُصبت خيام في الحديقة المقابلة للمدخل الرئيسي للمعرض وذلك يومي التاسع عشر والعشرين من شهر تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، تضمّنت منصّات لعرض الكتب ومساحات للقراءة ومعرضاً للصور إضافة إلى برنامج ثقافي متنوّع، تضمّن لقاءً مُسجّلاً مع المؤرّخ رشيد خالدي ولقاء عبر الإنترنت مع الكاتب محمد زقزوق من قطاع غزّة، كما دُعيت كل من الكاتبة أحلام بشارات والشاعرة أسماء عزايزة لقراءة شعرية وجلسة حوارية.

تجنّب القائمون على المكتبة إطلاق حملات لمقاطعة «معرض فرانكفورت للكتاب» والدخول في سجالات حول جدوى الحضور والمقاطعة، واختاروا، كما أكّدت كوثر، وهي إحدى الناشطات القائمات على المهرجان في حديثها مع «العربي الجديد»، أن يبادروا بتكوين بديل وأن تحضر فلسطين بالصورة المطلوبة، ودون رقابة واشتراطات. وقد رصدت «العربي الجديد» إقبال أعداد كبيرة من الزوّار على المعرض البديل، والذين تحدّث بعضهم إلينا حول أهمية هذه الفعالية التي عزّفتهم على النتاج الثقافي والأدبي للفلسطينيّين وإصرارهم على تثبيت سرديتهم، رغم الأهوال التي يلاقونها داخل فلسطين، والمنع الذي يُجابَهون به خارجها، وكان لافتاً توقّف الكثيرين عند اللوحات التي نُصبت في مواجهة المدخل الرئيسي لـ«معرض فرانكفورت للكتاب»، والتي حملت صوراً ومعلومات عن كتّاب وشعراء فلسطينيين قتلتهم آلة الدمار الإسرائيلية في عدوانها المتواصل على غزّة، مثل هبة أبو ندى ورفعت العرعير وغيرهما.

من المعرض البديل الذي أقيم قبالة «معرض فرانكفورت للكتاب» (تصوير: هديل الخطيب)

وقد أشارت كوثر في حديثها مع «العربي الجديد» إلى تعاوُن مجموعة «ناشرون من أجل فلسطين»، وهي مجموعة دولية تضم أكثر من أربعمئة ناشر حول العالم، وكانت المجموعة قد بعثت برسالة مفتوحة لإدارة المعرض تُطالبه بالتضامن مع الحقّ الفلسطيني، وتنهّمه بالتورّط بحرب الإبادة، وممّا جاء فيها: «إن «معرض فرانكفورت للكتاب»، وهو أكبر وأقدم معرض دولي للكتاب في العالم، شملت أنشطتها مهرجاناً ثقافيّاً ومعرض كتاب ومخيّماً طلابيا

متواطئ أيضاً في تورّط ألمانيا العميق في جرائم إسرائيل ضدّ الشعب الفلسطيني. فعلى الرغم من أن المعرض يُفترض أنه يرمز إلى الاحترام والتنوّع والتسامح، إلا أنه من خلال عملياته المالية وحضوره الثقافي متورّط في دعم ألمانيا المالي والعسكري والدبلوماسي للإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل، وقد شارك العام الماضي في قمع فخر للتضامن مع فلسطين». وقد شاركت رغم ذلك بعض دور النشر المنضوية تحت هذا التجمّع في «معرض فرانكفورت للكتاب» لكن العاملين فيها نشطوا، بحسب كلام كوثر، في التدليل والدعاية للمرور بالمعرض البديل، وساهموا في نشر ملصقات إعلانية. كذلك تحدّث منسّق فعاليات المعرض البديل خليل بيار إلى «العربي الجديد»، حول أهمية مواجهة «معرض فرانكفورت للكتاب»، وعدم الاكتفاء بمقاطعته: «علينا أن نواجههم وأن نحضر فيزيائياً أمام المعرض ليرانا الوافدون ويفرّ بنا الزوّار»، ولفت إلى قيام المجموعة بعمل بحثي مطوّل حول تاريخ معرض فرانكفورت للكتاب «كشف أسراراً كثيرة»، حسب تعبيره.

وقد واصلت المجموعة عملها بعد انتهائها من هذه التجربة في مشاركة ثالثة ضمن مخيّم طلابي جديد في ساحة «جامعة غوته»، إذ عرضت مزيداً من الكتب، وجدّدت نداءها إلى متبرّعين من قرّاء وكتّاب وناشرين لتوفير مزيد من الكتب. والهدف في نهاية المطاف إتاحتها في مكتبة خاصة في مدينة فرانكفورت، وحتى تحقّق هذا الأمر فقد قرّرت المجموعة تجربة إعارة الكتب لأشخاص تعرفهم وتثق بهم مع محاولة الحصول على برنامج إدارة مكتبات يُسهّل العملية. وتستقبل «مكتبة فلسطين» كتباً باللغات الألمانية والإنكليزية والعربية، ويحاول القائمون عليها أن يكونوا حلقة وصل بين ناشرين ومترجمين، وقد بدأوا بالفعل العمل على ترجمة كتاب صدر بالإنكليزية للكاتبة الفلسطينية المقيمة في نيويورك آية غنمة بعنوان «شجرات الزيتون هذه»، وهو كتاب مصوّر للأطفال، تتم ترجمته إلى الألمانية، بهدف توعية الناشئين بالقضية الفلسطينية. وتضع المجموعة أربعة أهداف أساسية لمشروعها «مكتبة فلسطين»، وهي: التوعية بالقضية الفلسطينية، وتعزيز النقاش وتبادل الأفكار، وإيجاد فضاءات ثقافية للتلاقي والعمل، والمساهمة في تشكيل الوعي والخطاب السياسي المتعلّق بفلسطين داخل ألمانيا.

لا يبحث الفلسطيني اليوم فقط عن بدائل للسلع الاستهلاكية التي تُنتجها شركات تشارك في إبادته، ولا عن منصّات بديلة لتلك التي تُقيّد محتواه وتمنعه من الوصول، بل يشعر بحاجته لإيجاد بدائل لكل ما تُنتج وتتحكم به مؤسسات الدول الاستعمارية مهما حملت من تسميات وشعارات، فهو يعلم أنها في أي لحظة تستطيع تحييده ومنع صوته.

ضدّ إملاءات المؤسسة

تُذكّر مجموعة «مكتبة فلسطين» في فرانكفورت بتجمّعات شبيهة بدأت بالظهور في مدن ألمانية أخرى، من بينها مهرجان «تجميع: احتلام» الذي احتضنت مدينة هانوفر النسخة الثانية منه في سبتمبر/ أيلول الماضي، ونظّمته مجموعة من الكتّاب والفنّانين من ذوي الأصول المُهاجرة ممّن وُلدوا وكبروا في ألمانيا، بهدف تقديم تجارب لا تلتزم بإملاءات المؤسّسة، ولمواجهة تُخمة رسمية تريد اختصار الأصوات المناهضة للإبادة الصهيونية.

إضاءة

الدرسُ الأول والأخير لـ«الحضارة» الغربية

أكفاننا ووحشيّتهم

صورة الأكفان من أشدّ تجلّيات الراسماليّة والاستعمار توحّشاً، هي إنساننا الفلسطيني الذي لا حيلة له سوى لغته القديمة وذاكرة مفعمة بالحنين

عاطف الشاعر

منظرُ الأكفان البيضاء المُلقاة على الأرض في غزّة ينتمي لكوكب آخر غير الأرض. حياة تُقفَّى وتُسجَّى ويُصلّى عليها، إن تمَّ ذلك، أحياءً ينتظرون مصيرهم في معركة البقاء الأكبر في تاريخ الشعب الفلسطيني. تلك من صور الراسمالية المتوحّشة، والاستعمار النذل والوجود النّكِد للصهيونية وغُدَاتها: بلينكن، ونتنياهو، وبايدن، وكيربي، وغريفيث، وبن غفير، وسموتريتش، وأسماء أخرى من قادة القرف العالمي.

في كتابه «طُرق الرؤية» يُشير جون برغر إلى تطوّر فنّ الرسم والتصوير في التراث الغربي. وهذا التطور أو السيرورة مرّت برؤية الإنسان من الداخل، فهناك تتبعُ للنفسية التي عادة ما تضفي على الوجه والعينين والطلّة سمات معينة، وتقوم برسمه أو تصويره، بحيثُ يقتربُ الفن من دواخل الإنسان كوجود وكينونة وككتلة تفكير وعواطف في لحظة تاريخية ما. ثمَّ انتقل التصوير والفنّ إلى مواطن الجاذبية، والأشكال الخارجية، وهذه لعبة الرأسمالية: تُركّزُ على ما يجذب، على الوجوه التي تبرق، وخصوصاً من النساء وأجسادهنّ، فيزداد الشغف بالاقتناء وتحويش الأشياء، والمبالغة بالشراء. وما يُشترى بالأساس هو صورة لامعة، لا علاقة لها بمحتوى نفسي كامن في الإنسان وبما يريد. ولا يعرفُ الإنسان إن كانَ غنيّاً أو لا من كثرة الأشياء التي لا يكفي ماله لشرائها. الرأسمالية غَابة الإلهاء عمّا يهمّ، إلهاءً عن القيم، وعن مُساءلة مُديري التوحّش، أمثال مدير «تيسلا» إيلون ماسك. والأخير مثالٌ لا بأس به على سيطرة الغريزة والرغائبية على الثقافة الغربية، فرغم ذكائه في مجال التكنولوجيا فإنه يُهرول ويُنفقُ كثيراً من المال لانتخاب شخص تافهٍ فجّ، وسليط اللسان لا علاقة له بأي إمكانية لإنسانية سوية مثل دونالد ترامب، ويدعم «إسرائيل» في حربها البربرية، في الوقت الأكثر تقدّماً في مجال التكنولوجيا الحديثة. وكذلك صورة المغنّية تيلور سويفت، وهي تستعرضُ بضاعتها أمام جماهير غفيرة تدفعُ الآلاف ليروا نجمتهم التي لا يبدو من لغتها وطلّتها أنها تقتربُ حتى من حدّود الذكاء اللافت. صورُ الغرب اليوم هي صور لأناس تافهين يتربّعون على عرش الثقافة الشعبوية، وقد بدأ بعض العرب بتقليدهم. وهناك الكثيرون من المتنفّذين الغربيّين ممّن تنقصهم حكمة المُتدبّر للأمور ورحمة الإنسان السوي. إنهم خليط غريب عجيب من التفاهة والانحطاط و«السلبطة». سياسيون أمثال بوريس جونسون، والمستشار الألماني أولاف شولتس، ووزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك، التي تبرّر أقسى صور المجزرة الإسرائيلية بعبارات وخطابات لو كان للغة لسان لانفجرت بوجهها من فجاجته وقسوته.

ولولا التراث العميق في بعض دول الغرب من التنظيم والرتابة البيروقراطية المهمّة التي تحافظ عليه بعض الشيء مؤسسات مدنيّة تحتلّ الصف الثاني أو الثالث من المنظومة الغربية مثل الجامعات والنقابات العمالية والخيرية وغيرها، لقُلنا العوض على هذه الدول والحضارة المُحبطة في هذه الأوقات المهولة.

وفي المقابل هناك صُورنا، صُور أهلنا وقد حلّت بهم نازلة النوازل على يد الصهيونية، من «إسرائيل» إلى أميركا إلى ألمانيا إلى بعض مستنقعات التخلّف العربي، صورٌ بحارُ الحليم بوصفها ومجراتها. أكفاننا وأجسادنا وأرواحنا ملفوفة بقطع قماش بالية، إن وُجدتْ، مسجّاة، جثث هامدة على الأرض. وهناك يقعُ دم لمن كان حيّاً يُرزق للتوّ يتضوّر جوعاً ويبحث عن مخرج من جحيم «إسرائيل». صُور لأناس مختلفين: كبار وأطفال ونساء وشبّان، وأكفان كأنّها سماوات أخرى.

أكفاننا ونحن نفنى على شاشات العالمين، وننظرُ لآخر صاروخ من «إسرائيل» وهو يهوي على بناية في لبنان والناس يتفرّجون على قطار الفاجعة السريع، وفي غزّة يفزّون من أنفسهم التي لا تكاد تصدّق أنّها في غابة بشرية وحشيّة إلى هذا الحدّ.

صورة الأكفان هي من أشدّ تجلّيات الراسمالية والاستعمار توحّشاً، هي

غربٌ تحكمه مجموعة سلطويّين يتنافسون على عرش الشعبويّة

إنساننا الفلسطيني العربي الصابر المحتسب المغلوب على أمره، الذي لا حيلة له سوى لغته القديمة، و«الياسمين 105»، و«عبوة شواظ»، إن وجدت، وأبيات من الشعر المقفّى، وآيات من الذكر الحكيم، وذاكرة مفعمة بالحنين، بينما قادة الخراب في «إسرائيل» يخطّطون للضربة التالية، ومن سيسكّن الأكفان بعد آخر غزوة قتل وتدمير. التناقض لا يدعُ مجالاً للشكّ أننا أمام عالم حتى التنظير بحقّه يُفجع، فمن أين نبدأ وأين ننتهي، وما الفائدة من كلّ هذا؟

«إسرائيل» تريدُ ذلك، تريدُ تحطيم اللغة كمنظومة تواصل، وبثّ الرعب المطلق من خلال صور خراب قيامي بحيثُ لا يجرؤ أحد على مقاومة وحشيّتها وإيغالها بالدم العربي، تريدُ أن تكونَ صورة «بَعبع» لا يجرؤ أحدٌ على مسّه مهما توحّش. صورُ الأكفان وحدها، وأهلنا الضحايا الأموات والأحياء الشهود في غزّة ولبنان وسورية واليمن هي الدرسُ الأول والأخير في الحضارة الغربية المتوحّشة التي مهما زاد بريقها تبقى صورها الأقسى: الأكفان والأجساد الملفوفة باقمشة بالية في بلاد المعذّبين في الأرض.

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

من وقفة بمدينة هيلفرسوم الهولندية تكريما لأرواح الصحافيين الذين قتلهم الاحتلال في غزة، 4 نوفمبر/تشرين الثاني 2024 (Getty)

مشاهدة

كورتازر في خطر خمس قصص يجمعُها عرضٌ واحد

تحدّي أن نفهم صاحب «الحجلة» مسرحياً

يرى المسرحيّان الإسبانيان خوسيه سينيسترا وكلارا سانشيس ان كورتازر الحقيقي لا يمكن فهمه إلا على الخشبة، حيث تتحاور قصصه في ما بينها

مدريد ـ **العربي الجديد**

قلاعٌ من الورق المقوّى تستقبل الداخلين إلى العرض. قرع أجراس. إنّه خوليو كورتازر، يفتح لنا أبواب عقله على إيقاع موسيقى جازٍ كلاسيكية. هنا لوحة مفتوحة، هناك قصةٌ مكتوبة لكنها لم تكتمل بعد. وبين اللوحة والقصة، لا يوجد إلّا الشظايا؛ تلك الكتابات الأخرى على الجدران، على الأوراق البيضاء، في اللاوعي، وفي خبايا الخيال.

ليس من السهل نقل عالم الكاتب الأرجنتيني خوليو كورتازر (1914 - 1984) إلى المسرح، لكن كلّاً من الكاتبين والمسرحيّين الإسبانيين خوسيه سانشيس سينيسترا وكلارا سانشيس يُصرّان على أنّ كورتازر الحقيقي لا يمكن فهم عوالمه السردية حقاً إلا إذا نُقل إلى عالم المسرح. وتحديداً من هذا التحدّي، من تحدّي فهم الروائي مسرحيّاً، تنهض مسرحية «كورتازر في خطر»، التي يُقدّمانها حالياً على خشبة مسرح «أبادير» بمدريد، وتتواصل حتى غير الخميس.

ليس ثمّة حبكة واضحة في المسرحية، بل حبكات. تماماً مثل كتابات كورتازر كلّها، إذ ينهض العمل استناداً على خمسة نصوص كتبها صاحب رواية «الحجلة»، ودمجها المسرحيان الإسبانيان كي تتحاور بعضها مع بعض، ويصير البطل الوحيد فيها الخيال أو القارئ الخلّاق أو المتفرّج.

هكذا يبدأ كورتازر حكايته، وستكون القصة الأولى «وداعاً يا روبنسون»، ليبدأ معها المتفرّج برحلة مسرحية تشقّ طريقها عبر عوالم القوى التعبيرية وجاذبية القصص وغموض شخصياتها. من روبنسون كروزو، المنعزل والوحيد، المستوحى من رواية كتبها دانيال ديفو (1660 - 1731)، سننتقل إلى اشتباكات غامضة مع رواية «الحجلة» وطريقة قراءاتها المتعددة هنا سيشعر المتفرّج أنها فعلياً في عقل كورتازر، حيث لا شيء آخر إلّا الفوضى المرتّبة. ثم بعد ذلك سندخل مباشرة في قصة «البيت المأخوذ» ونتعرّف على حكاية الأخوين اللذين سخّرا حياتيهما من أجل الحفاظ على ذلك المنزل والعناية به لأنّ ذكريات الأسرة كلّها فيه.

ليس ثمّة حبكة واضحة في مسرحية

وما إن يشعر المتفرّج أنّه يمسك بزمام المسرحية، حتّى يدخل في قصة جديدة متشابكة، على غرار لعبة الدُّمى الروسية، فيجد نفسه في حقبة السبعينيات، ومع طائرات مزيّفة، وفي بلدان مزيفة أيضاً. إنها غرافيتي أو ومضات تُحيلنا إلى قصة «غرافيتي». ضمن هذا العالم المزيف، وتلك الصور والومضات، سيتلقى المتفرّج تعليمات من أجل البكاء، الضحك، الخوف، الرسم، القراءة. إننا في قصة «دليل التعليمات». وفي هذا الدليل ثمّة شيء حقيقي فقط: الدكتاتوريات التي تكشف في نهاية المطاف، بفكاهة عالية، عن شخصية الكاتب، وعوالمه السريالية، وعقله، والواقع الذي يعيش فيه أثناء عملية التأليف.

كل شيء في المسرحية يقود نحو الغموض ونحو ألا شيء. إنها مسرحية عن الاحتفاء بالإبداع والخيال، مسرحية تحتفي بقدرة الإنسان على تحقيق أبعاد جديدة لما هو معروف بالفعل. هذا هو التحدي الذي يواجه المتفرّج، والذي يجب أن يقبل هذا الهروب من الواقعية المسرحية التي أصبحت رائجة للغاية للوصول إلى تجربة الآخر، لأنّ الآخر هنا هو الكاتب، هو كورتازر نفسه، والوصول إليه، هو بشكل من الأشكال، وسيلة لإلقاء الضوء على الذات.

ليس ثمّة حبكة واحدة في العرض بل حبكات، ولا بطل واحد بل أبطال

من المسرحية

فعاليات

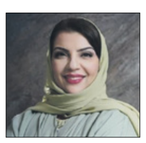

عند السادسة من مساء اليوم، يستضيف منتدى **حديث الألف** في «مكتبة الف» بمنطقة الدفنة في الدوحة، الكاتبة العُمانية **بشرى خلفان**، و تحاورها الروائية اللبنانية **هالة كوثراني**. تُضيء خلفان في روايا تها على مدينة مسقط و تاريخها و تنوّعها الاجتماعي والعرقي، مُبرزةً العلاقات الإنسانية والماضي العُماني.

تحت شعار **نقرا لننتصر**، تنطلق، مساء اليوم، في «قصر المعارض» بالجزائر العاصمة، فعاليات الدورة 27 من **معرض الجزائر الدولي للكتاب**، وتستمرّ حتى 16 من الشهر الجاري، بمشاركة قرابة الف ناشر من اربعين بلدا، من بينها قطر؛ ضيف شرف الدورة. يتوزّع البرنامج الثقافي ضمن ستّة محاور: التاريخ والذاكرة، وفلسطين، وقطر، وافريقيا، والآداب، والتراث الثقافي الجزائري.

شاعران رومانسيان مصريان وإقامتهما الاميركية الغريبة، عنوان محاضرة يُقدّمها الباحث **محمد الخليل** من «جامعة نيويورك ابوظبي»، عند الرابعة والنصف مساء اليوم الاربعاء في المعهد التابع للجامعة بالمدينة الاميركية. تتناول المحاضرة التجربة الشعرية لـ **احمد زكي ابو شادي** (الصورة) و**سيّد قطب** من خلال إقامتهما في اميركا.

مونولوغ/ مونوكروم، عنوان معرض للمصوّر التونسي **قيس بن فرحات**، افتتح الاحد الماضي في «قاعة الفنّ الرابع» بتونس العاصمة، ويستمرّ حتى 31 كانون الثاني/ يناير المقبل. يضمّ المعرض 32 صورةً بالابيض والاسود لعروض مسرحية تونسية؛ مثل **آخر مرّة** لـ **وفاء الطبوبي**، و**كاليغولا** لـ **فاضل الجزيري**، و**آخر البحر** لـ **فاضل الجعايبي**.